تطور الأسرة

المصرية (١)

للسيدة احسان احمد القوصي

في الأسرة ينشأ المصلحون والقادة والعلماء والفلاسفة وفيها تغرس في الافراد الفضائل الاخلاقية والعواطف الانسانية والمبادىء الديموقراطية وبين أحضانها تنمو عناصر الشخصيات القوية التي تقوم بالانقلابات الثورية والاصلاحات الاجتماعية التي تؤثر في تقدم البشر وسير الحضارة والعمران فهي مهد التراحم والتعاون ومنشأ السيطرة والتشريع ومرجع العادات والتقاليد واذا كنا لا نستطيع اصلاح الجماعات الا باصلاح الافراد فأقرب ما يكون ذلك في متناولنا وهم في الاسرة صغاراً في دور التكوين

والاسرة كشكل نظام اجتماعي تخضع لنظام التطور والرقي كما يخضع الجسم الحي لنواميس الحياة وسنن النشوء والارتقاء وفي التاريخ أصدق شاهد ولا حاجة بي الى التبسط والرجوع الى عهد الامومة يوم كانت الاسرة قاصرة على الام والاولاد، ولا الى الخطوات التي تلتها بعد انضمام الأب اليها مسوقاً بعاطفة الحب والمصلحة، ولا الى تدرجها في الرقي حتى اصبحت وحدة اجتماعية تامة ويكفي ان أستعرض حال الاسرة المصرية في حقبة قصيرة من الزمن وعهد لا تزال نلمس آثاره لتنجلي لنا الشوط الذي قطعته في مضمار التطور من عهد محمد علي الى الآن ونتبين نواحي نهضتها ومواطن الضعف فيها ثم أبسط ما أراه لمقوماتها

كانت الاسرة المصرية الى ما قبل الاحتلال البريطاني متأثرة في الطبقتين العالية والوسطى من الامة بالطابع العثماني وحياة الحريم — على حد تعبير أهل الغرب — فكان رب الأسرة عائلها وسيدها المطلق له الأمر، وعلى نسائه الطاعة، زوجات كن أو بنات أو أخوات. أما الزوجة فكانت تعيش في عزلة تامة عن العالم لا تدري من شؤونه شيئاً ولا تعرف غير بيتها وأولادها. يتزوجها صغيرة عادة وفي كثير من الاحيان وهي دون سن البلوغ، ويوفر لها من وسائل العيش وضروب المتعة المادية ما تسمح به ظروفه الخاصة. لا ترى من الرجال الا محارمها أو جماعة الاخوات ولا تبارح بيتها الا لضرورة ماسة فلا تعرف طريق الاسواق ولا تخرج لنزهة أو رياضة. تعيش حياة خمول

(١) محاضرة القيت في القاعة الشرقية بالجامعة الاميركية بالقاهرة

وتكمل عزمها وزمنها ويترهل في غالب الاحيان بدنها وتقضي عمرها في تلك الدائرة الضيقة وقد ضرب عليها الاستبداد حجاباً حجب عنها نور العلم والعرفان وحاطها بسياج من الخرافات والأوهام. اذا مرضت لجأت الى وصفات العجائز وأكثرها خزعبلات وان عجزت هرعت الى الدجالين والعرّافات والله وحده يعرف عدد من وقعن ضحية جهالة الذين كانوا يرون الموت خيراً من عار احضار الطبيب لانقاذ ام في ولادة متعسرة أو صبية أسقمها داء دفين. حدث أن مرضت ابنة شابة لأحد أدباء ذلك العصر المشهورين فأحضر لها الطبيب فلما دخل لعيادتها وجدها في سرير وقد تدلت عليه كلّة من الشاش حتى لا يرى منها شيئاً فجلس الى جانب فراشها وجعل يسأل عما تحس به ويستدرجها حتى تأنس اليه فيكشف عليها فطلب منها ان يجس نبضها فأخرجت له يدها فطلب رؤية لسانها

أتعلمون يا سادة ماذا فعلت ! لم تعيها الحيلة فقد مزقت الكلة وأخرجت منها لسانها وغلبته على أمره. هذه قصة حقيقية ما زالت صاحبتها على قيد الحياة وقد سمعتها منها بنفسي وهي صورة صادقة لأغلب نساء عصرها

أما من كان يسعدهن الحظ ويتلقين — وقليلاً ما كن — فكان تعليمهن لا يعدو القراءة والكتابة وحفظ القرآن فقد كانوا يرون كما كانت اوربا في العصور الوسطى ترى تعليم البنت ضاراً ولو اقتصر على محو الأمية وكان التعليم يتم في البيوت اذ لم تكن في مصر مدرسة واحدة للبنات في عهد محمد علي . أن ديوان المدارس قدر ما لتعليم البنت في النهوض بالمجتمع المصري أشار سنة ١٨٣٧ على محمد علي بانشاء مدارس لهن أسوة بالبنين فان الاقتراح لم ينفذ في عهده لأن المجتمع لم يكن يألف كما يقول ارتين باشا في كتابه تعليم البنات في المدارس واكتفى محمد علي بانشاء مدرسة القابلات كان كل تلميذاتها عشر جواري حبشيات من سرايه كان يصحبهن الى المدرسة بعض الأغوات الحراسين . أما بنات اسرته وجواريه فقد عهد بتعليمهن الى المستر كيدر زوجة أحد المبشرين الانجليز التي أنشأت أول مدرسة بنات سنة ١٨٣٥ بتشجيع تلميذتها كبرى بنات محمد علي وزوجة محرم بك امير الأسطول المصري ولن أزيدكم بياناً بوأثر لحكم الحكم على تربية ابناء الجيل وحال أمهاتهم على ما رأيتم من الجهل والتأخر لتدركوا الماذا رسفت بلادنا في قيود الاستبداد كل تلك السنين الطوال وأنتم تعلمون ان الشعب لا يرتفع فوق مرتبة نسائه

ظلت الأسرة المصرية على تلك الحال من التأخر ردحاً من الزمن غير قليل ولو ان الأسرة المسيحية كانت أحسن حالاً اذ سبقت اختها المسلمة في الاقبال على ارسال بناتها الى مدارس الارساليات التي ظهرت قبل منتصف القرن التاسع عشر بقليل فتسرب بتعليمهن بصيص من

نور العلم الى البيوت فأضاء جوانبها ورفع مستواها. ثم قامت الطوائف الشرقية غير المسلمة تنشىء المدارس فأنشأ الأقباط في عهد الأنبا كيرلس الرابع أول مدرستين للبنات ومن ثمّ سارت الأسرة المسيحية في طريق الرقي بخطوات وئيدة ولكنها ثابتة، وحفز ذلك بعض الأسر المسلمة على الاقتداء بها وارسال بناتهم الى مدارس الارساليات على ان الرأي العام كان يستنكر ارسال البنات الى تلك المدارس

ولما أتى عهد اسماعيل بزغ فجر عصر جديد في تطور الأسرة ونهضة الأمة بفضل همة ذلك المصلح الكبير فقد نهض بالتعليم حتى بلغ عدد المتعلمين من الذكور في البلاد ٤٪ بعد ان كان قبل عهده ١٪ وشجّع الأوربيين على فتح المدارس للبنين والبنات حتى بلغ عددها في احصاء سنة ١٨٧٣ سبعين مدرسة . وفي نفس السنة بدأ انشاء مدارس البنات فأسست زوجته الثالثة تشما أفت هانم المدرسة السيوفية بايعاز منهُ ودخلها نحو مائتا تلميذة لم يمض عام حتى تضاعف عددهنّ . وفي سنة ١٨٧٥ أسس مدرسة للمكفوفين والخرس من بنين وبنات فكان أول من عمل على اختلاط الجنسين في التعليم واقتنع بضرر تعدد الزوجات فأبى ان يكون لبناته ضرائر كما أبى ان يكون لأولاده الثلاثة الكبار غير زوجة واحدة ناهيك بالنظام والتجديد الذي دخل البيوت بتزويجه الجواري المتربيات في قصوره من وجوه البلاد

ولما قضت الظروف المالية المعروفة بالاحتلال لم يتغير الحال كثيراً وخاصة في العائلات المسلمة فبقي سوادها خاضعاً لسلطان العرف والتقاليد نافراً من التغير والتجديد حتى ان المرحوم قاسم لما قام في أواخر القرن التاسع عشر بصرخته المدوية وتجاوب صداها في أرجاء الشرق تعرّض لنقد من الكتّاب ورجال الدين من مصريين وغير مصريين ولم يجد دعوته الا نفر قليل من الخاصة أقنعتهم حجته وأدركوا أثر دعوته في رقي الأسرة ونهضة الأمة لهذا لم تؤت تلك البذرة الصالحة ثمارها الا بعد ربع قرن او يزيد اختمرت فيه فكرة تحرير المرأة وساعدت على اختمارها عوامل شتى في داخل البلاد وخارجها كان أولها التقدم الاقتصادي الذي زاد في ثروة البلاد ورخائها وساعد على قيام الحضارة ونشر التعليم وارسال البعثات العلمية الى أوربا

وثانيها التقدم العلمي الذي سهل المواصلات وزاد في روابط الصلة بين الشرق والغرب وفتح الأذهان لنقد النظم والتقاليد فلم يعد لها تلك القداسة التي كانت لها في نظر أجدادنا وثالثها حركة مباركة قامت بها المسز بنكهرست زعيمة المطالبات بحق النساء في انكلترا مع أربع وستين سيدة من خريجات الجامعات ذهبنَ الى البرلمان وقدمنَ اليه عريضة جاء فيها «لقد سئمت نفوسنا مظاهر العطف وضروب المجاملة والتحية التي يبديها رجال السياسة ويريد النساء تحقيق مطالبهنّ وسيتأثرنَ السير فاما نيل المرام واما الحمام»

ولما خرجت من البرلمان شرعت تجوب في طول البلاد وعرضها تخطب في المعاهد العلمية والجمعيات والأندية ووصلت الى اكسفورد حيث عقدت مع زميلاتها عدة اجتماعات قررن في ختامها عقد مؤتمر في السنة التالية . وفي مايو سنة ١٩٠٧ قامت جمعية خريجات اكسفورد بعقد المؤتمر وضم نخبة كبيرة من أقطاب العلم وأساطين الفكر ورجال المال أذكر منهم السير اوليفر لودج العالم الطبيعي والسر وليم كروكس الكيماوي والعلامة رتشن الألماني والفيلسوف هنري برغسن وأرلست هيجل البيولوجي وكوخ الكنزبولوجي واللورد جلفن وماركوني وأديسن ومدام كوري وانيشتين وبرتراند رسل وتولستوي ومكسيم غوركي وغستاف لبون وأدمون دي مولان وسارة برنار وكارنيجي وفورد ومرجان ، لبى كل هؤلاء الاقطاب دعوة المؤتمرات واجتمعوا من مختلف أقطار الأرض تأييداً لتلك الحركة المباركة وخطب عشرة منهم في مركز الفتاة في الهيئة الاجتماعية ومزاياها العقلية والروحية وما يمكن ان يشاد عليها من الرفعة والمجد في حياة استقلالها ووردت برقيات التأييد من ملك انجلترا وملكة هولاندة وامبراطور المانيا ورئيس الولايات المتحدة وغيرهم ولما انتهى المؤتمر رفعت قراراته الى برلمانات اوربا وأمريكا وحكامها وجامعاتها فكان لها أثرها البعيد في العالم كله وخاصة بعد ان تحققت مطالبهن في كثير من الدول

وكان رابع العوامل ابطال الرق فقد كان لتلك الحركة أثرها في تقدير حق الحرية الشخصية والثورة على أنواع العبودية وما هو أن أصدر البرلمان البريطاني قانوناً حدد بمقتضاه أول اغسطس سنة ١٨٣٤ لتحرير كافة الارقاء في الممتلكات البريطانية حتى بلغ عدد المحررين سنة ١٨٤١ في الهند الشرقية وحدها اثني عشر مليوناً وسرعان ما اقتدت دول الغرب ببريطانيا فأبطلته السويد سنة ١٨٤٦ وفرنسا والدانمارك سنة ١٨٤٧ وهولندا سنة ١٨٦٢ وتلتها باقي الدول تدريجياً ثم تحولت الجهود لابطاله في الدول الاسلامية فلم يأت عام ١٨٧٧ حتى عقد اسماعيل مع بريطانيا معاهدة لابطاله ومنع الاتجار به فلم يكن من المعقول بعد ان تحررت في مصر وغيرها الاماء ان ترضى بالاستعباد باقي النساء

وخامس العوامل تحرير المرأة التركية ونهضتها العظيمة بعد ان أخذ بيدها بطل الاستقلال كمال أتاتورك وأزال العراقيل من سبيلها فانطلقت الى ميادين العلم والحياة تسعى جاهدة وشاركت الرجل في بناء مجد بلادها وكان لنهضتها وهي المرأة المسلمة صدى بعيداً في الأمم الاسلامية خاصة

وسادس العوامل البعثات العلمية وسفر الكثير من المصريين الى اوربا مما ساعد على اقتباس الكثير من العادات الغربية في طرائق الحياة والتفكير ونبه الأذهان الى مواطن الضعف وأثار الهمم للعمل على الاصلاح فبضدها تتميز الأشياء

ولعل أبلغ ما نستشهد به بهذه من كتاب المرشد الأمين للبنات والبنين الذي وضعه رفاعه بك الطهطاوي بعد عودته من الدراسة في أوربا فكان أول من دعا فيه الى وجوب تعليم البنات وتساويهن بالبنين واختلاط الجنسين فقد جاء فيه « ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات والصبيان معاً لحسن معاشرة الأزواج فإن هذا مما يزيدهن أدباً وعقلاً ويجعلهن بالمعارف أهلاً لمشاركة الرجال في الكلام والرأي فيعظمن في قلوبهم ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها وليمكن المرأة عند الاقتضاء أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر طاقتها فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة فان فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالاهواء وافتعال الأقاويل فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة واذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمة عظيمة في حق النساء »

وقد كان في قيام مصريات نمن كالنجوم الزاهرة وسط الظلام الجاثم على اخواتهن ما أيد حجة القائلين بالدعوة الى تعليمها وتحريرها نذكر منهن فاطمة الأزهرية والسيدة النبلوية وتلميذتهما عائشة التيمورية التي تلقت عنهما النحو والعروض

ثم كانت آخر العوامل قيام الثورة الوطنية المصرية سنة ١٩١٩ فتحطمت آخر القيود التي قيدت المرأة فبرزت من خدرها واندفعت في حماسة الى ميدان الجهاد واتسع أمامها مجال العمل وتفتحت أبواب الأمل وبدت طلائع المستقبل المنير

وهكذا ترون ان تقدم الأسرة المصرية لم يأت طفرة فقد كان لكل عامل من تلك العوامل نصيبه في تمهيد سبيل النهضة وتهيئة الأفكار للتطور المنتظر كما كان لما يحدث في الغرب صدى بعيداً تجاوب في مصر فأيقظها من سبات طال أمده وفتح عينيها لاستقبال نور العلم وضياء الحرية وسرعان ما استجابت لنوازع التجديد في نظمها الاجتماعية والعلمية والسياسية وأسرعت الخطى فقطعت في فترة وجيزة ذلك الشوط البعيد في نهضتنا الحديثة وكان طبيعياً أن تنال الأسرة نصيباً من هذا التطور الكبير وخاصة بعد ازدياد المدارس وانتشار تعليم البنات واطراد الزيادة في الاقبال عليه وتدرجه في الرقي تدرجاً دفع بالاسرة الى التقدم دفعاً سريعاً فتطورت العلاقة الزوجية وأصبحت تقوم بين طرفيها على التفاهم والتعاون وبعد ان كان الزوج هو السيد المطلق الحاكم بأمره والزوجة في نظره متاعاً وأداة لانتاج الأولاد أصبح اليوم رأس العائلة وأصبحت هي العنق التي تحركه في رفق وهوادة لا يشعر معها بغضاضة وصارت الزوجة شريكته وصديقته لا أماً لأولاده فحسب تحررت من أسر الحجاب وأيقنت ان الحجاب ما حجب عن

أخلاقها النثر والسوء خرجت من عزلتها السحيقة لتستنشق نسيم الحياة الطلق فصارت تشارك زوجها المتع ببرامج الحياة تحضر معه الاجتماعات وتدعى الى الحفلات وترافقه في الزيارات والخروج للرياضة والترويح عن النفس فاستغنى كثير من أفاضل الأزواج بهذا الاشتراك العائلي السعيد عن ارتياد المقاهي والبارات والسهر في الأندية والصالات ووسع هذا الاشتراك وإقبالها على قراءة الجرائد والمجلات أفق الحياة أمامها فصارت أكثر بصراً لأمور الحياة وترفعت عن الصغائر وبعدت عن الخرافات وصارت تشعر بقيمتها وتعتز بكرامتها وتقدر مسئوليتها نحو الاسرة والمجتمع والانسانية وكانت النتيجة الحتمية لهذا كله أن ارتفع مستوى البيوت وارتقى فيها الذوق وسادها النظام وتقدمت صحة الاولاد وتحسنت تربيتهم وصار تعليم البنات ضرورة كتعليم الاولاد وأقبل كثير من بنات كرام الأسر على معاهد العلم العالية ينهلن من نبعها الصافي فانفتح أمامهن طريق العمل واشتغلن بالتعليم والتحرير والتمريض وغيره وساهمن بنصيب مشكور في الشئون العامة فأقبلن يواسين المريض ويساعدن الفقير ويحتضن اليتيم وشمل برهن مختلف الطوائف وما كادت تشتعل نار الحرب الضروس حتى انهالت طلبات المتطوعات لتخفيف ويلاتها ومصابها . هذا حال الأسرة المصرية الحديثة والاتجاه الذي تسير فيه اليوم . غير ان الأسر المتعلمة لا تزال قليلة اذا قيست بمجموع الأمة لاقتصار التعليم على الطبقتين العالية والوسطى واذا كنت قصرت بحثي الى الآن على هاتين الطبقتين فليس ذلك تقليلاً من شأن الطبقة الثالثة وهي سواد الشعب ودعامته وانما لأن التطور الذي أصاب تلك الطبقة ضئيل ضعيف الأثر

إن مهمة الباحث الذي يتعرض حال الأسرة المصرية ليتناول عيوبها بالعلاج مهمة شاقة عسيرة لا بدّ له معها من الأناة والروية ذلك ان الموضوع جد خطير يزيد في صعوبته تفاوت غير قليل في سلم الرقي الاجتماعي واختلاف غير يسير في مشاكل الأسرة في كل طبقة من الطبقات وقد ترددت بأيها ابدأ ، أبالطبقة الدنيا وهي السائدة الغالبة أم بالطبقة العالية وقد أعطي لها الزمام في القيادة أم بالطبقة الوسطى وهي حلقة الاتصال التي تخضع لناموس التأثير والتأثر ثم رأيت ان أكتفي بعرض أبرز العيوب في المجتمع المصري وأعظمها خطراً على كيان الأسر . وسأحاول ما استطعت ان ألمسها في رفق ولين ، حتى لا يكون لشوكها ما يجرح عاطفتكم ويدمي فؤادكم

***

تقولوا بنا عند تعدد الزوجات وارجعوا الى الاحصاءات التي تنتهي بنا الى كثرة الطلاق وما يترتب عليه من شقاء العائلات . من دواعي السرور ان أخذ الكثيرون يقلعون عن تعدد

... كاد في بعض الطبقات وأصبحت الحالة الاجتماعية ناهضة وتنظر الى ... وعدم الارتياح . غير ان الأسف يبلغ أشده عند ما نرى اسفاف الشفقة ... الزوجات والطلاق واساءة حق شرع للضرورات فأصبح في يد الجهلة سيفاً ... العائلات . نرى الواحد منهم لا يرضى أن ينقضي به الزمن دون ... زوجة ينجب من كل منها طفلاً أو أكثر فينشأوا على الحقد والضغينة بحكم ... يجعلهم في كثير من الأحيان على الاجرام كما يدفعهم اهمال الأب وعجزه ... شديد . وكيف يمكن ان يعول اسرة كبيرة العدد في حدود دخل ضيق شديد ... جريمة في حق الوطن والانسانية أن توافي المجتمع بجيش من الأطفال ليس ... شهداء . ان الاحصاء في العشرين سنة — من ١٩١٠ الى ١٩٣٠ — يظهر اضطراد ... في الجنح والجنايات التي يرتكبها الأحداث . وما هؤلاء الا ابناء أغفلهم آباؤهم ... عليهم الأيام فانطلقوا هائمين على وجوههم في الطرقات يلتمسون الرزق بأيسر ... تدفعهم الحاجة في الرذائل يتسولون ويسرقون ويغشون ويخدعون ولم ... السبيل فاستمرأوا مرعى الاجرام صغاراً ثم شبوا فصاروا من عتاة ... في الحياة من ذكر ما سمعته من سيدة انجليزية تشتغل في بوليس الآداب عن ... بلادنا وخطرهن على الصحة والأخلاق ويكفي ان تعلموا ان منهن أغلب ... ان الأمر جد خطير ووقاية المجتمع من تلك الشرور يتطلب من الحكومة ... سن قوانين مشددة تحمي الأسرة وتمنع تعدد الزوجات الا لضرورة ... كمرض لا يبرء أو عته أو نحوه . ان الاسرة المسلمة في سبيل الحاجة الى ... الفوضى ويوثق الصلة بين افرادها ويقضي على الانحلال الذي يدب فيها ... يفرق شملها بسبب سوء استعمال حق الطلاق . فالطلاق اذا كان كعلاج ... في بعض الاحيان لا يجب ان يلجأ اليه الا بعد اليأس من كل علاج . وكما ان ... الا الطبيب ، كذلك الطلاق يجب الا يتم الا أمام القاضي حفظاً لكيان ... مصلحة الأولاد .

***

... ثانية لا تقل عن الاولى خطراً على حياة الاسرة هي انصراف الكثيرين ... دور اللهو وصالات الرقص والحانات ونوادي القمار عامرة بجيوش ... من أرباب أسر وآباء أولاد يقضون فيها السهرات الطويلة فينفقون ما لم ... يكون أعصابهم في ميسر ثم يعودون الى بيوتهم مهدمين تحيش في صدورهم

ثورة وحقد هي كل ما كسبوه من موائد القمار، تدفع ثمنها الزوجة المسكينة عودته على مضض من الألم فاذا نصحته رغب عن كل انتقاد او نهته عدت عملها

ولعلكم لم تنسوا قصة السيدات اللاتي قصدن الى مكتب الآ ورفعن اليه شكايتهن من انصراف الأزواج الى بيت أحد أصدقائهم في أدعى دواعي الأسف ان هذا الداء الوبيل لم يقتصر ضرره على جماعة الطبقات الفقيرة فزادهم بؤساً على بؤس يدفعهم الأمل الكاذب في زيادة يضيعوا قوت عيالهم ويعودوا اليهم وهم صفر اليدين. ومن العجيب ان بعض والفضيلة في زوجته ولا يتخذها لنفسه شعاراً ويحل لنفسه ما يحرمه عليها جميعاً الدينية والاخلاقية تسوي بينهما وان له ما لها وعليه ما عليها. تحس وتثور وتتألم. وانه ليدفع الثمن غالياً عندما ينفذ صبرها فتهجر بيت تحمل العائلة. أما اذا أعوزتها الحكمة فقد يدفعها الغيظ الى الانتقام القرار الذي انحدر اليه

ومن أكبر الخطر على الفضيلة والاخلاق في المجتمع ان يشب الشاب تنزل منه منزلة الايمان فيعتقد أن مخالفة الفضيلة لا تشينه ويجد من اليس في ذلك تشجيعاً على الاستهتار والانغماس في الفساد، أني والكتاب والمصلحين ان يعملوا جميعاً على محو هذا الخطأ الشائع من أذهان سلامة المجتمع من أخطاره الكثيرة

ومما يهدد كيان الأسر انصراف الشبان عن الزواج وهو محمود اذا كان الشاب حتى يهيء له أسبابه ويستطيع كسب ما يعول به أسرته ويقوم هناك طائفة تتخذ الاحجام عن الزواج مبدأ تدين به ولست أدري أي فلسفة يدعون اليها وليس فيهم ابو العلاء في زهده. إلا أنها فلسفة شاذة الحكمة تنهض على هدم الفضيلة وتقوم على الفوضى وتقضي على أجل وأنبل الروابط نعم ان في الزواج تضحية وتقييداً لشيء من الحرية ولكنه قد يحبب الى كذلك أن لحمته المودة والرحمة. فليسمع الشباب وليعلموا ان كل من أسس أسرة يبني لبنة في صرح الوطن وأحيي جيلاً. ومن هرب من تحمل المسؤولية عاش جيلاً بأسره. وليذكروا وهم يأخذون على الفتاة مزاحمتها لهم في الأعمال تعطل الكثيرين منهم ان انصرافهم عن الزواج من أقوى الأسباب التي تدفعها نفسها لكسب عيشها وصون كرامتها

ومشكلة أخرى تواجه الأسرة المصرية وتزلزل كيانها ألا وهي انخفاض مستوى معيشة الملايين من الطبقات الفقيرة انخفاضاً نزل بها عن مرتبة الحياة الانسانية . ويزيد الحالة سوءاً كثرة العيال في تلك الطبقات كثرة أصبحنا معها نواجه مشكلة اطراد الزيادة في عدد السكان في وقت زاد فيه الكفاح في سبيل العيش واشتد ضغط الحياة حتى أصبح الرجل في كثير من بلاد الريف يعمل طول يومه بقرشين والمرأة بأقل من ذلك

بالله . . كيف يمكنني وصف حال هذه الاسر التي لا تجد الكفاف الا بشق النفس ان القلب ليذوب حسرة ويفيض ألماً ويكاد يعجزني عن الكلام فلأترك لحضراتكم تصور الحالة الصحية والاجتماعية لتلك الاسر فكلكم يعرف بؤس الفلاح وما يحيط به من شقاء وما يفتك به من أمراض . وتصوروا معها حال اسر المتعطلين الذين سدت في وجوههم ابواب الرزق وضاقت بهم سبل العيش . ان مشكلة ازدياد السكان مشكلة عويصة لا بدّ لعلاجها من همم وجهود جبارة وعندي ان نبدأ فوراً بمنع تعدد الزوجات ونشر الدعاية لتحديد النسل اذ ما من شك في أن كثرة الانتاج في الطبقات الفقيرة والطبقات التي تليها هي علة تلك الزيادة . وعلينا ان نعمل على نشر تعليم الصناعات المنزلية الصغيرة ليكون من دخلها معيناً للاسر الفقيرة على سد حاجاتها ورفع مستوى حياتها . ولا نغفل انشاء الصناعات التي تتوفر أسبابها في مصر واستغلال الأراضي البور ومختلف موارد الثروة المصرية ونشر التعليم بين سواد الشعب فلا سبيل الى النهوض بالطبقات الفقيرة بغير تعليم شعبي صالح يعمم عن طريق الالزام وبغير تضافر جهود الناقمين بالأمس والعاملين على الاصلاح على رفع المستوى الاقتصادي لتلك الطبقات الى مستوى يتفق مع الكرامة الانسانية لأن الفقر والجهل هما علة حل ان لم يكن كل مشاكل الأسرة في تلك الطبقات

***

هذه يا سادة أهم مواطن الضعف في العائلة المصرية اجمالاً منها ترون أن بعض تلك العلل يرجع الى أثرة الرجل وأنانيته وبعضها يرجع الى تقاليد كان لها أثر بعيد وبعضها يعود الى نقص التربية وعجز القوانين عن حماية العائلة وتوفير أسباب سلامتها وتقصير الشارع المصري في سد هذا النقص واذا كنت قد أغفلت ذكر كثير من العيوب والعادات التي تحتاج الى الاصلاح والتقويم كحب الظهور والميل الى الاسراف وأساءة البعض لفهم الحرية وتطرفهم في الاختلاط فلأني أخشى أن يطول بنا المقام ان أنا استعرضت كل ما تشكو منه الأسرة المصرية واكتفيت بما قدمت من العلل لأني رأيت فيها أعظم ما يهدد كيان الأسر ولا بدّ من المبادرة الى علاجها لتنهض بمجتمعنا ومصرنا العزيزة . وختاماً أشكركم على حسن اصغائكم